

٣ - مصطفى كمال *

سيرة حياته

للكتاب الإنجليزي أرمسترونج

تلخيص وتعليق حنفي غالي

وعاش مصطفى كمال مع أمه في سالونيك بعد وفاة زوجها الذي كان يتعاضد وينفر منه ، وهناك حاول أن ينشئ مع زملائه من صغار الضباط فرعاً لجمعية الوطن ، فأخفق لأنهم كانوا في رية من أمره ، فلم يؤيدوه ولم يعارضوه ، كما كانوا يريدون أن يقفوا على حقيقته ويتبينوا أمره قبل أن يتصلوا به ويتعاونوا معه في أمثال هذه الغامرات . وأخير أسر إليه أحدهم أن بسالونيك جمعية ثورية كبيرة تدعى جمعية الاتحاد والترقي ، يجتمع أعضاؤها في منازل بعض اليهود من رعايا إيطاليا ، فيستطيعون أن يدبروا الخطة ، ويتشاوروا في أمرهم بأمن من بطش الحكومة ، ومنجاة من عيون الخليفة ، وبعد أن اختبرت الجمعية إخلاص بطلنا ، وأنست منه نفساً ثائرة وقلباً قلقاً ، دعت إلى الانضمام إليها فم لها ما تريد . وانخرط مصطفى في سلك أعضائها ، فألقى نفسه في جو لا يلائمه ولا يتفق وميوله ، إذ رأى من حوله أشخاصاً يتحدثون في أمور لا تعنيه ولا تتصل بتركيا التي يحبها ويفنى في سبيلها ، فإذا بهم من متاعب اليهود وما يلاقونه من اضطهاد في روسيا ، فهو تركي قبل كل شيء ، وهو معتز بتركته تياه بها ، ولا غرض له سوى إنقاذ تركيا من استبداد الخليفة ومطامع الدول الأجنبية ، وفضلاً عن ذلك فهو ما زال في الجمعية « أنا » صغيراً ، عليه أن يتلقى الأوامر بالطاعة والأذعان ، وعليه أن ينفذها بأمانة ونشاط . وهذا ما لا يرضى بطلنا الذي خلق ليأمر ويسود لا ليأتمر ويخضع ، فبرم بالجمعية وسخط عليها ، وأخذ ينقدها نقداً حاداً قارصاً غير متلطف فيه ولا متهاون قائل : إنه يسمع مناقشات بترنطية لا يميزها عمل خاسم ، وهو يريد خطة محكمة دقيقة ، ينفذها بكل ما وسعه من جهد ، وكل ما في نفسه من حرارة الإيمان والوطنية ، ولم يكن يرعى للرؤساء حرمة أو

* انظر عددي ٦٥ و ٦٦ من الرسالة

مقاماً ، فمن هم أولئك الذين يستأرون بالنفوذ ويستبدون بالأمر دونه ؟ أنور ذلك المجازف التهور ، أم جمال ذلك المظلم العقول المضطرب الذهن ، أم داود ذلك اليهودي الذئب الذي انقلب مسلماً ، أم نيازي ذلك الألباني فاقد التوازن ، أم طلعت ذلك الموظف المصلحي والذب البطش ، فهكذا كان يرام بطلنا ، ويرى نفسه فوقهم أجمعين ، وهكذا يرى العطاء شديدي الأناية عظيم الثقة بأنفسهم ، وهي صفة لا بد منها لمن يتطلعون إلى مسابح الأفلاك . أما من ضعفت ثقته بنفسه ، وتنجى بمن نفسه لغيره ، فليقنع إذن بمدارج الأسماك . وكان يخاطبهم مخاطبة الأستاذ لتلميذه ، وحدث ذات مرة أن كانوا يتحدثون عن جمال ويتمدحون وطنيته فقاطبهم مصطفى كمال متهمكاً بهم ، وأخذ يلقي عليهم درساً عن العظمة الحقيقية . فلما التقى بجمال في اليوم التالي صارحه برأيه فيه قائلاً له إنه طالب شهرة ، وألقى عليه ما ألقى على زملائه بالأمس وقد كان زملاؤه الضباط يبغضونه لاعتداده بنفسه واستصغاره لشأنهم وسخره منهم ، كما كان اليهود لا يثقون به ، فلم يرتق إلى مراكز الماسونية العليا ، وظل بعيداً عن مركز القيادة أو بعيداً عنه .

ولم يكن في البيت أيسر نفساً ولا ألين جانباً ، ولم يكن يسمح لأحد غير أمه أن ينتقده ، وكان مع ذلك يأبى عليها التدخل في عمله أو المساس بكبريائه . وقد اجتمع في يوم من الأيام ببعض زملائه بالنزل ، فأخذ الخدم يتسمعون حديثهم من وراء الأبواب وأخبروا أمه ، فعارضت فكرته ، وقال أن يقنمها بصوابها ، فركبت رأسها وأصرت على رأيها ، وما كان الاثنان ليتفقا ، فقد كانت هي امرأة صادقة الإيمان وثيقة الاخلاص لقدمها ، بينما ابنها لم يكن يؤمن بشيء أو يجمل شيئاً على الاطلاق ؛ وأخيراً سارت الأم الرزوم ولدها العزيز في طريقه برغم اعتقادها في خطئه ، خشية أن يهجر المنزل فيشوق عليها فراقه ، ولكنها ظلت تمحدره سوء المنقلب وظلام المسير ، قائلة : إن من الحق التأثر بالخليفة والدين وقد سئم بطلنا الحياة المنزلية بما يتقلها من ثرثرة الأقارب ، وتجسس النساء ، وفضول الخدم ، إذ لم يكن أبغض إليه من الحد من حريته ، فهو يريد أن يكون سيد نفسه معها كلفه ذلك من مشقة وتمن ، فهجر المنزل ، ولكن ظل حبل الود متصلًا بينه وبين أمه ، فكان يزورها ويصنع إليها

فرصة هذه الفتنة الداخلية لتصنع مع الأتراك حسابها ، فاستولت
النساء على البوسنة والمهرسك ، واحتلت اليونان كريد ، وأعلنت
بلغاريا استقلالها تظاغرهما الروسية

أما في داخل الامبراطورية فقد شبت الثورة ببلاد العرب
وألبانيا ، واحتدم النزاع بين المسلمين والمسيحيين واشترأت
الرجعية بعنقتها تريد استعادة سلطانها البائد ، فليجأت الى الجيش
والشعب لأثارته على أولئك اليهود والملاحدة الذين يريدون هدم
الدين ، وتقويض خلافة المسلمين ، ونجحت هذه الدعاية الخداعة
البراقة ، ونار الجنود في الآستانة ، وقتلوا ضباطهم أو سجنوهم ،
وأعلنوا إخلاصهم للدين وولاهم لأمر المؤمنين ، واستولوا على
الآستانة وطردوا منها أعضاء الجمعية ، فلجأوا الى محمود شوكت
قائد الجيش بمقدونيا فتردد بادي الأمر لأنه كان من القريين
الى عبد الحميد ، ولكنهم وقفوا أخيراً الى إغرائه بمساعدتهم
والعمل معهم فسير أنور - وكان قد عاد مسرعاً من برلين -
على رأس فرقة من الفرسان كما ناط بمصطفى - وكان قد عاد من
طرابلس - رئاسة أركان الحرب ، وتقدم الجميع نحو الآستانة
فقبضوا على الثورة الداخلية ، وقبضوا على عبد الحميد ووضعوه
في « فيلا » صغيرة بسالونيك تحت رقابة الضابط فتحى القدوني
وأعادوا الجمعية الى الحكم

وكان أنور إبان هذه الحوادث ، الشخصية الفذة ، والبطل البارز ،
ترمقه العيون بالاعجاب والحب ، لأنه كان جندياً مقداماً جريئاً ،
كثير الانجاء الى الجمهورية ، فواتته الشهرة وسعت اليه ، بينما
ذهب مصطفى كمال في غمار النسيان والاهمال ، إذ لم يحظ بالاعجاب
الشعب لترده ، ولم يكسب رضاء الرؤساء لصلفه ، حتى قالوا عنه
« إنه ذو كفاية ممتازة ، ولكنه جامد النسيم ، كثير التمرد على كل
أمر ، قارص النقد لكل شخص ، شديد الفرور ، لا يعيل اليه أحد ،
وهو كثير الاعتداد برأيه ، لا يشرك معه أحداً في الأمر »

وأبعده عن الحكم وأبقوه في منصبه ، فأكب على واجبه
بؤديه بهمة ونشاط ، وأخذ يدرس تاريخ نابليون وفون ملتكة . ثم
رقى في سنة ١٩١١ الى رئاسة أركان حرب القسم الثالث من الجيش
بمقدونيا

وقد أرسل في بعثة حربية الى باريس تحت اشراف الجنرال
على رضا ، وأحب رئيسه به وأثنى عليه . ولما عاد نيط به الاشراف

وكان يفتق بياض النهار مكباً على عمله ، كما كان يفتق معظم
لياليه في القاهي حيث يجتمع بزملائه أحياناً أو يذهبون الى مكان
خفي بعيد ، حيث يشربون ويدخنون ويدبرون الخطط
للثورة المقبلة

على أن بطلنا لم يكن ليرضى أن يكون جندياً خاملاً مغموراً ،
بل يريد أن يكون قائداً له شرف النصر ونخار القلبة والقهر ،
ولم يكن يحب الرؤساء أن يقرؤهم منهم ، فقل على توالي الأيام اتصاله
بالجمعية واشترآكه في أعمالها ، وأصبح أكثر ميلاً للمزلة والسمت
وبينما كان بطلنا في بعده وعزلاته إذا بالثورة تشب من غير
إنذار ، فسار نيازي على رأس فئة قليلة من الثائرين الى جبال
مقدونيا الجنوبية متحدوا الحكومة ، وحذا حذوه أنور ، وأصدر
في الحال منشوراً يعلن فيه الثورة . أما بطلنا فظل في سكونه
وعزلاته ، وأبي أن يشاركهم ، إذ لم يكن من طبعه المغامرة في
مشروع إلا إذا كان متين الأساس مقدرآ له بعض النجاح ؛
ولكن هذه المغامرة الجنوبية نجحت بأعجوبة ، وساعد على ذلك
سخط رجال الجيش على الحكومة لتأخر مرتباتهم ، فأبى بعضهم
أن يحارب بني وطنهم ، وانضم آخرون الى الثوار فسقطت
حكومة الظلم كما تسقط أوراق الشجر أمام الريح الضعيفة ، وقبل
عبد الحميد الحكم الدستوري قائلاً : إنه كان يعمل لهذه الغاية من
عهد بعيد ! ! وأتمنى باللائمة على مستشاريه ، وألقى عليهم تبعمة
الماضي الفاسد . وألقى الجاسوسية ، ورحب بالثوار ، وعاد نيازي
وأنور ، وقد أسكرتهم نشوة الانتصار ، وتوجت رؤوسهم أكليل
الغار ، فاستقبلهم الشعب بحماسة فائقة تجل عن الوصف ، وقد
لقيهما مصطفى برفقة بعض زملائه ، ووقف الجميع في شرفة أحد
فنادق سالونيك ، وأعلن أنور منها الدستور على الشعب الذي
يرمقه بعين الاعجاب والاحلال ، ووقف من خلفه مصطفى وإن
ما به من المم والحسد ليكاد يقطع قلبه ويذهب بنفسه

وقد عاد الى الآستانة جميع من تقام عبد الحميد ، وأخذوا
يتنازعون السلطة والحكم ، وأرسل أنور ملحقاً حريباً في
سفارة برلين ، أما نيازي فعاد الى ألبانيا حيث اغتيل ، أما مصطفى
كالم فأرسل على رأس بعثة ليتفقد حال بطمية طرابلس ، ويكتب
عنها تقريراً للحكومة الآستانة

وقد خشيت دول أوروبا أن يستعيد الأتراك قوتهم ، فانهزت

الشمس في الطلوع

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

الشمس قد طلعت بوجه أروع
وجه كما تهوى الطبيعة سافر
في موكب نجم يزيد جلاله
هي في علوية أوجها وشعاعها
بيضاء لولا ما بها من وخزة
إني أدين بحسنا لا كالتي
مرت تماورها الدهور وحسنا

أنظر إليها فهي تحكي عادة
ولقد بدت في خيلع^(١) من ضونها
تجري بلا تعب إلى الغايات في
لا تحرم الأرض الضياء فان جلت
تنتد من شغف لها الأنظار من

ظهرت على من السحاب كأنها
ولقد علتها وهي تبحر ألقها
ودنا يطوف بها الغمام كمنظف
قد كان منها القرص أحمر فأنما
أما النجوم فتلك بعد تراكم
صور محببة وليس بمنكر
الشمس في طول النهار نجوت
وكانما بيني وبين شعاعها
مأذون قرن الشمس الإهتر من
فرح قواد محتويه أضلبي

(١) توبه بلا أكمام (٢) منظم الطريق

على مدرسة الضباط بسالويك ، ورغم كون بطلنا جنديا بفطرته
فقد كان يتطلع بنظره الى السياسة دائما ، ويجبول أن يجرب طالع
فيها ، فلم يرعه هذا الذنب ، وأخذ ينقد زعماء جمعية الاتحاد
والترقي نقدا لا ذمعا في غير تحفظ ولا خشية قائلا إنهم ليسوا
جديرين بالحكم ، وإن الدول أخذ طمعها يشتد ويدها تطول عن
ذئ قبل ، ولا سيما ألمانيا التي قبضت على مرافق البلاد الحيوية
وسيطرت على سكة حديد بغداد . أما في الداخل فلا يزال السخط
عاما والفقير والبؤس غميمين ، ويجب القيام بعمل حاسم لاصلاح
الجمال . وأخذ الضباط يصغون اليه ويستمعون له ويظفون حوله
فأرضى هذا كبرياءه ، وأصبح يشعر أنه ذو مكانة وخطر ، وأنه
يقرب رويدا رويدا من قيادة حركة ذات شأن ، ونعى هذا الى
سمع محمود شوكت ، وكان يعرف بطلنا ويقدر خطره ، لاسيما في
البلقان مصدر كل فتنة ومهد كل حركة ، فنقله الى منصب آخر ،
وكان شوكت في تصرفه هنا كالستجير من الرمضاء بالنار ، فقد
سهل المنصب الجديد لبطلنا بلوغ دعوة الى أنصار أكثر من ذي
قبل ، ولم يخف تهديد شوكت ووعيده ، وظل في مهاجته لرجال
الجمعية وحملة عليهم غير خائف ولا متحفظ ، كما أخذ يستحث
أنصاره على طرد الأجانب لتصبح « تركيا للأتراك »

ولقد عظم خطر بطلنا حتى كتب أعران الحكومة اليها
ينفرونها ويحذرونها منه ويستحثونها على تدارك الأمر ، وطلبت
الجمعية معاقبته ، فبعث اليه شوكت بهمه بأنه يجرى الجنود على
الثورة ، فرد عليه ردا لم يكف في نظر شوكت لدحض التهمة
وتفنيها عنه ، كذلك لم يجد شوكت أدلة قوية تثبت إدانته فنقله
الى المكتب الحربي في الأستانة لينمده عن البلقان مستودع البارود
ومنبع الخطر وليستطيع مراقبة حركته وتتبع خطواته ، فلم يرد
هنا عن خطته ، وأخستيقرب من بعض سياسي الجمعية الذين
كانوا يفضون الألمان ويعتقون سفيرهم صديق أور الذي أخذ
يعمل بنشاط وكياسة لجعل تركيا آلة في يد ألمانيا ، وأخذوا هم
يشجعونه بعض الشيء ، إذ رأوا إمكان استخدامه ضد أور عند
الحاجة ، ولكنهم مع ذلك لم يستسيغوه ولم يقربوه كل القرب
لدهابه بنفسه ، فجز ذلك في نفسه وآله لشد الألم

وبينا هو يجاهد خصومه ويجاهدونه إذا بايطاليا تنزل
جنودها في طراباس وتحتل الساحل ما

منه غالي